مجال متنازع عليه : المراهقون في الفضاء العام

من كتاب "المجال العام وثقافة الطفولة "(2004)

جيل فالنتاين

ترجمة بتصرف

أ.د. مضر خليل عمر

مقدمة المحررين

كما هو الحال مع جميع المساهمات في هذا القسم حول الاختلاف ، يُعنى عمل جيل فالنتاين بالانتماء الاجتماعي والإقصاء ، وكيفية التعبير عنهما وتعزيزهما والتنازع عليهما مكانيًا . في "مجال متنازع عليه : المراهقون في الفضاء العام" ، تناولت فالنتاين الوضع الخاص للمراهقين والطرق العديدة التي يُستبعدون بها في الغالب من الأماكن العامة . وكما هو الحال مع العديد من المختارات في هذا الكتاب ، استخدمت فالنتاين أساليب إثنوغرافية - المقابلات هنا - لإثراء عملها . وقد أُدرجت المحادثات التي أُجريت مع المراهقين وأولياء الأمور وضباط الشرطة في النص ، لدعم ادعاءات فالنتاين بأن المراهقين أنفسهم يشعرون بأنهم في غير مكانهم ، ويعاملهم البالغون . يخضع المراهقون لمراقبة شبه دائمة في منازلهم ومدارسهم وفي الأماكن العامة والخاصة . عادةً ما يكون لديهم رأي محدود في الأنشطة التي سيشاركون فيها أو جداولهم الزمنية ؛ لديهم حرية مالية محدودة ، وحركة محدودة . غالبًا ما تنظر السلطات إلى وجودهم ، وخاصة في أماكن مثل الحدائق والشوارع ومراكز التسوق ، على أنه تهديد . واستنادًا إلى مفاهيم ديفيد سيبلي عن تطهير الفضاء ، غالبًا ما يُنظر إلى المراهقين على أنهم مؤثرات ملوثة يجب التخلص منها .

مرحلة الحياة المعروفة باسم المراهقة هي اختراع ثقافي حديث نسبيًا . في أوائل الستينيات ، قدم المؤرخ الفرنسي فيليب أريس حجة مقنعة مفادها أن مفهوم الطفولة نفسه ، ناهيك عن المراهقة ، لم يكن منتشرًا في أوروبا حتى أواخر القرن التاسع عشر . بدلاً من ذلك ، كان يُنظر إلى الشباب على أنهم بالغون مصغرون . دخلوا مباشرة إلى مجتمع البالغين كمتدربين وعمال حقول ومصانع ، وما شابه ذلك في ما يبدو اليوم سنًا صغيرًا صادمًا يبلغ سبع سنوات أو نحو ذلك ؛ ينظر "قرون من الطفولة : تاريخ اجتماعي للحياة الأسرية" (1962) . في الواقع ، في بعض الثقافات اليوم ، يُتوقع من الشباب نسبيًا أن يتبوأوا أدوارًا للبالغين مع فترة انتقالية قصيرة أو معدومة للمراهقة ، من خلال الزواج المبكر أو دخول سوق العمل . ومع ذلك ، قد يتساءل المرء عن الأدوار والمواضيع والمواقف التي تُعد بالغة - لا سيما فيما يتعلق بالجنس والعنف - التي تُسوّق للشباب الأمريكي والأوروبي اليوم من خلال الأفلام الرائجة والموسيقى وألعاب الفيديو وغيرها من المنتجات الثقافية .

على الرغم من أنها مجال فرعي حديث نسبيًا من جغرافية الثقافة ، إلا أن جغرافيات الشباب تُعد مجالًا بحثيًا سريع التطور. ومن الأمثلة على ذلك تريسي سكيلتون ، التي شاركت في تأليف منشورات مع جيل فالنتين حول إقصاء المراهقين وإدماجهم . مادلين ليونارد ، في مقالها "المراهقون والإقليم في المساحات المتنازع عليها : التفاوض على الواجهات الطائفية في أيرلندا الشمالية" ، في مجلة جغرافيات الأطفال ، المجلد 4، العدد 2 (2006): 225-238 ، تستخدم القصص والخرائط والمقابلات لدراسة روابط الشباب في سن الرابعة عشرة والخامسة عشرة بالمكان والهوية الدينية . كتب بيتر هوبكنز عن الشباب في اسكتلندا والانتقال إلى الجامعة ؛ ينظر "انتقال الشباب والالتحاق بالجامعة : تصورات الطلاب الذين يلتحقون بجامعة" . برنامج الوصول إلى مدرسة الجغرافيا الصيفية ، في المنطقة 38، 3 (2006): 240-247. وأخيرًا، كتب مايكل

ليشون عن إجراء أبحاث مع هذه المجموعة في مقال بعنوان "حول العمل الميداني : الممارسة والتقدم والمشاكل في البحث عن الشباب في المناطق الريفية" ، في مجلة الدراسات الريفية 18 (2002): 179-191.

جيل فالنتين أستاذة الجغرافيا البشرية في جامعة ليدز، حيث تُدير أيضًا معهد ليدز للعلوم الاجتماعية . لفالنتين اهتمامات بحثية متعددة ، تشمل أبحاثها الحالية حول الأطفال والأسر، والهويات الاجتماعية للشباب الصم وإقصائهم ، وثقافة منشآت الشرب ، والمنهجيات النوعية المبتكرة مثل مذكرات الصور وسجلات الويب ("المدونات") . من بين منشوراتها العديدة (مع تريسي سكيلتون) "العيش على الحافة : تهميش ومقاومة الشباب الصم / الصم" ، في مجلة البيئة والتخطيط، 35. (٢٠٠٣): ٣٠١-٣٢١؛ "معابر الحدود : الانتقال من الطفولة إلى البلوغ" ، في جغرافيات الأطفال ١ (٢٠٠٣): ٣٧-٥٢؛ (مع المحررين المشاركين فيل هوبارد وروب كيتشن) مفكرون رئيسيون في الفضاء والمكان (٢٠٠٤)؛ و(مع تريسي سكيلتون) أماكن رائعة : جغرافيات ثقافات الشباب (١٩٩٨).

لا مكان للذهاب إليه ، لا شيء للقيام به : تجارب المراهقين مع الأماكن العامة يتمتع الأطفال والمراهقون بخصوصية محدودة مقارنةً بالبالغين . ففي المنزل أو المدرسة ، يكونون عرضة لنظرات المعلمين والإخوة والأقارب الذين يحاولون غالبًا توجيههم نحو أنشطة منظمة... تتعارض مع أجنداتهم الخاصة . المنزل ، على وجه الخصوص ، هو مساحة تُشكلها مجموعة معقدة من القواعد واللوائح العائلية ، وبالتالي ، فإن النزاعات الحدودية مع الوالدين أمر شائع . وعلى وجه الخصوص... تُمثل التوترات المنزلية حول قواعد المنزل واستخدام غرف مختلفة داخل منزل الأسرة صراعًا بين رغبة البالغين في إرساء النظام والانتظام وحدود منزلية قوية ، وتفضيلات الشباب للفوضى وضعف الحدود .

ومثل المنزل ، تُعد المدرسة أيضًا مؤسسة شديدة التنظيم بحدودها الواضحة وجغرافيتها الأخلاقية . تصف هذه الفتاة افتقارها للحرية : فتاة ، لأن والديك ، مثلاً ، لا يمنحونك الكثير من الحرية ، والمدرسة تُلحّ عليك دائمًا لفعل الأشياء ، فعندما يتحدثون إليك ، يُخاطبونك كطفل صغير لا كشخص بالغ . («الطبقة العاملة»، منطقة العاصمة، يوركشاير). لا يوجد سوى القليل من المرافق العامة (على عكس الخاصة) للشباب في بلدات ومدن المملكة المتحدة ، ناهيك عن الريف . علاوة على ذلك ، يرغب المراهقون عادةً في المشاركة في أنشطة الكبار بدلاً من الاحتجاز مع الأطفال الصغار في بيئات متخصصة .

لذلك ، تُعد المساحة العامة ساحة مهمة للشباب الراغبين في الهروب من مراقبة الكبار وتحديد هوياتهم وطرق وجودهم . ومع ذلك ، فإن الجهود المبذولة لتنشيط أو "تجميل" المساحة العامة كجزء من محاولات إحياء المدن (رمزيًا واقتصاديًا) . تؤدي هذه التطورات بشكل متزايد إلى استبدال المساحات "العامة" بمساحات "خاصة" بديلة ، مثل مراكز التسوق وأسواق المهرجانات . ويساهم تطوير هذه المساحات الاستهلاكية الجديدة المخصخصة ، وعمليات التحديث الأوسع نطاقًا ، في تجانس المساحات العامة وتوطينها من خلال الحد من التنوع والتحكم فيه ، بهدف جعل هذه البيئات "آمنة" للطبقات المتوسطة . ومن بين "الآخرين" غير المرغوب فيهم الذين تُستبعد أسعارهم ، أو تُطردهم ، من هذه المجمعات التجارية والاجتماعية والتجزئة والترفيهية من قِبل شركات الأمن الخاصة (بما في ذلك الحراس وكاميرات المراقبة التلفزيونية المغلقة) المراهقون .

تُخفي هذه العمليات مدى خصخصة المجال العام وتسليعه ، وتُعزز أهمية الشارع للشباب المعاصر. من الجدير بالذكر أن مساحة الحي أو شارع المدينة ، وخاصةً بعد حلول الظلام ، عندما ينسحب العديد من البالغين إلى ملاذ المنزل ، غالبًا ما تكون المساحة المستقلة الوحيدة التي يستطيع العديد من المراهقين تخصيصها لأنفسهم ، وبالتالي فهي ساحة اجتماعية مهمة حيث يمكن للشباب أن يجتمعوا . مع عدم وجود شيء محدد للقيام به ، غالبًا ما يتجول الناس في الشوارع بحثًا عن الإثارة ، لأن الشارع قد يكون مكانًا

لأحداث مميزة . علاوة على ذلك ، فإن مجرد عدم فعل أي شيء هو... فعل شيء ما لأنه وقت يتمتع فيه الأطفال بالحرية والخصوصية بعيدًا عن إشراف الكبار ليكونوا على سجيتهم . وهذا أمر بالغ الأهمية للشباب نظرًا لأن عدم فعل أي شيء أصبح أقل فأقل إمكانية للأطفال في ثقافة الأبوة والأمومة المعاصرة التي يُنقل فيها الأطفال من نشاط مؤسسي إلى آخر ...

يُصبح التسكع في زوايا الشوارع ، والحدائق ، وشرب الخمر دون السن القانونية ، والتخريب البسيط ، والمزاح ، وغيرها من أشكال عدم الالتزام بالنظام في الشارع (عمدًا وبلا وعي) شكلًا من أشكال مقاومة سلطة الكبار... غالبًا ما تستعمر مجموعات أو عصابات من الشباب - مُحددة بدقة حسب العمر - مساحات معينة ، مثل مواقف الحافلات أو الحدائق ، وتتنافس على السيطرة عليها ، كونها ملكًا لهم . إنهم يطالبون بهذه المساحات من خلال وجودهم المادي ، ومن خلال تحديد أراضيهم أو ملكيتهم برسومات الجرافيتي أو علامات أخرى مثل القمامة . تستخدم مجموعات مختلفة من الشباب هذه الأماكن للتعبير عن صراعات الهوية ، مستبعدين بعضهم البعض من "أراضيهم" من خلال الشتائم والتنمر والعداء العام والترهيب . مجموعات الصداقة للفتيات من جنس واحد مهمشة بشكل خاص من خلال هذه الأساليب من قبل المجموعات المختلطة الأكبر سنًا .

الفتاة 1. نقضي وقتًا في الخارج مع أصدقائنا.
الفتاة 2. تشعرين بأمان أكبر مع مجموعة من الناس.
الفتاة 4. تعرفين المزيد من الأشخاص.
الفتاة 2. نعم في منطقتك.
المُحاور: هل مررتِ بأي تجارب مخيفة؟
الفتاة 3. نعم أحيانًا.
الفتاة 1. عندما يأتون [مجموعات أخرى من المراهقين] ويبدأون بالشتائم و...
الفتاة 3. يتنمرون عليكِ ، ويقولون لكِ أشياءً .
(نقاش جماعي ، "الطبقة العاملة" ، منطقة حضرية ، يوركشاير)

في الآونة الأخيرة ، أصبح المجال العام ، بدلاً من أن يكون نظامًا اجتماعيًا قائمًا على التحضر والتواصل الاجتماعي والتسامح ، مجالًا للقلق وانعدام الأمن بشكل متزايد . وتُقرأ مواجهات "الاختلاف" ليس على أنها ممتعة وجزء من حيوية الشوارع ، بل على أنها قد تُشكل تهديدًا وخطورة . في هذا السياق ، غالبًا ما يُنظر إلى عدم امتثال الشباب وسلوكهم غير المنضبط على أنه تهديد للسلامة الشخصية للأطفال الآخرين وكبار السن ، وتهديدًا للسلم والنظام في الشارع . وقد عبّر الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات بشكل خاص ، وإن لم يكن حصريًا ، عن خوفهم من تعرض أطفالهم للأذى على أيدي أطفال عنيفين آخرين ، وكان هذا هو المبرر الذي قدمه بعض الآباء لتقييد استخدام أبنائهم للمساحة . يشرح هؤلاء الآباء مخاوفهم : يا أمي ، هذا ليس شيئًا أخشاه بشكل خاص ، وليس الاختطاف . أعتقد أنني سأكون أكثر خوفًا ، وأكثر قلقًا من أن يقع في قبضة مجموعة من الشباب الذين سيضربونه بشدة ويؤذونه بشدة ، ليس فقط عند عودتهم إلى المنزل باكيًا ، بل كما تعلمون ، ينطحونه بالرأس وما إلى ذلك . («الطبقة العاملة» ، منطقة العاصمة ، مانشستر الكبرى)

لا يُعد الشباب "غير منتمين" في شوارع المدن فحسب ، بل هم مصدر قلق مماثل في المناطق الريفية ، كما تشير هذه الاقتباسات : يا أمي ، هناك مشكلة مع الأطفال المراهقين الذين يتسكعون . إنهم يتسكعون حاليًا ، حسنًا ، لقد كانوا هناك لفترة من الوقت الآن في نهاية طريق المدرسة ، في السيارات... إنه أمر مزعج حقًا لأن الأشبال يلتقون هناك ، وهم خائفون ، كما تعلمون . حتى أنا كنتُ أشعرُ ببعض الخجل ، عندما كنتُ

أسيرُ وألتقي روبي في الظلام ، كما تعلمون ، مجرد المرور بجانب هذه السيارات ، كان الأمرُ مخيفًا بعض الشيء. («الطبقة المتوسطة»، منطقة ريفية ، ديربيشاير) كما تشير بعض الاقتباسات أعلاه ، فإن العديد من الأمهات يشعرن أيضًا بالتهديد الذي يُشكله «الأطفال الخطرون» حفاظًا على سلامتهن .

وصفت النساء شعورهن بالخوف من مجموعات المراهقين في الشوارع ؛ حتى أن بعضهن يتخذن تدابير وقائية مثل عبور الطريق ، أو تغيير مسارهن لتجنب تعريض أنفسهن لخطر عنف المراهقين . يبدو أن هناك اختلافًا في جغرافية خوف النساء في كل حي من الأحياء التي أُجري فيها البحث ، لأن عصابات الشباب تستعمر مساحات مختلفة في كل منطقة . على سبيل المثال ، في إحدى القرى ، ارتبطوا بمحطة الحافلات في الشارع الرئيسي ، وفي حي المدينة ، عدوا استيلاءً على منطقة بالقرب من حانة مهجورة ، وفي إحدى المناطق غير الحضرية ، تجمعوا في موكب من المتاجر، بينما في منطقة أخرى مماثلة ، تم تحديد حديقة على أنها منطقتهم .

تصف هؤلاء النساء مخاوفهن : أمي ، لقد رأيتُ شخصًا يقف بعلب بيرة خارج المتجر . الآن ، أنا لا أقول إننا لم نشترِ زجاجة من عصير سترونغبو أو شيء من هذا القبيل ، لكننا لن نفعل ذلك أبدًا بشكل صارخ أمام البالغين خارج المتجر . إنهم أقل خوفًا من السلطة مما كنا عليه ، لم نكن لنفعل أشياءً معينة يفعلونها ، أنا متأكد من ذلك... أميل إلى الابتعاد عنهم لأنني أجدهم يشكلون تهديدًا لي عندما يكونون جميعًا في مجموعة كبيرة ، وكما أقول ، ليس لديهم احترام كبير للسلطة أو لكبار السن . (من الطبقة المتوسطة ، منطقة غير حضرية ، تشيشاير)

ومع ذلك ، تشير معظم الأبحاث إلى أن المراهقين الذين يتسكعون في الشارع لا يتعمدون ترهيب النساء وكبار السن وغيرهم من الأطفال في الأماكن العامة ، ولا ينوون التسبب في مشاكل . بل إن التظاهر والمزاح يؤدي أحيانًا إلى انتهاك القوانين أو إلى زعزعة الأطفال لحياة البالغين ، ولكن هذا ليس متعمدًا عادةً ، بل هو نتيجة طبيعية للتدفقات الطبيعية للأنشطة . بل ينتقد الشباب قلة المساحات العامة المتاحة لهم والتدخل غير المبرر من البالغين في حياتهم الاجتماعية . علق هؤلاء المراهقون من منطقة حضرية في مانشستر الكبرى : لو كان نادي الشباب مفتوحًا ، لما كانت هناك عصابات كبيرة في الخارج لأننا كنا سنكون في نادي الشباب . لما كانوا سيتذمرون منا بشأن التدخين وشرب الكحول وسرقة المتاجر، أو أي شيء آخر، لو كان نادي الشباب مفتوحًا . لا يوجد شيء آخر نفعله . لن نتجول ونحطم الأشياء . لأننا لا نملك ما نفعله ، نبقى هنا... كل مراهق يفعل ذلك .

على الرغم من نوايا الشباب البريئة ، فإن وجودهم في الأماكن العامة غالبًا ما يُعد ليس مخيفًا فحسب ، بل أيضًا تهديدًا محتملًا للنظام العام... الضواحي ، على وجه الخصوص ، لديها نظام أخلاقي معين قائم على نمط قوي للغاية ومفهوم على نطاق واسع من ضبط النفس وعدم المواجهة . لقد وضع السكان "معايير" أو طرقًا مناسبة للتصرف تجاه بعضهم البعض ، وغالبًا ما يكون لديهم اتصال ضئيل مع المجموعات "الأخرى" التي تُعد غير متوقعة ومهددة . على هذا النحو ، ينظر البالغون إلى المراهقين على أنهم تهديد للنظام الأخلاقي للأحياء نظرًا للطريقة التي يُنظر إليهم بها على أنهم يهددون الممتلكات من خلال أعمال التخريب ، ولكن الأهم من ذلك ، سلام البالغين وهدوئهم...

توضح هذه الاقتباسات بعضًا من الطريقة التي ينظر بها البالغون إلى الشباب على أنهم يجلبون الفوضى إلى الشوارع : أمي ... يتجمعون حول منطقة المتاجر الغربية ، هناك ، ثم يتحركون لأسابيع عديدة ، وكانوا في ساحة ثورنتون بالقرب من المتاجر هناك ، ويبدو أنهم يتجمعون . شهدنا موجة من التجمهر حيث كانوا يأتون ويمزقون لافتات "للبيع" لمجرد إثارة الشغب... في الوقت الحالي ، لديهم لعبة جديدة ، يتجولون بها كحشد ، ويطرقون أبواب الناس ، ويقرعون الأجراس ، ويشكلون عمومًا مصدر إزعاج . (من الطبقة

المتوسطة ، منطقة غير حضرية ، تشيشاير) . أبي . لدينا مشكلة في الخلف ، مع وجود مراهقين في الخلف ، أطفال وحيدون ، وأعمال تخريب أكثر من أي شيء آخر . لقد خرجت لمحاولة إيقافهم ، لكن هذا لا يُحدث أي فرق . («الطبقة المتوسطة»، منطقة حضرية ، مانشستر الكبرى) .

بينما استذكر العديد من المشاركين في المقابلات أنهم أيضًا قضوا طفولتهم يتسكعون في الشوارع مع العصابات ، ويُعذبون البالغين في أحيائهم ، وُصفت هذه الأفعال بأنها مقالب بريئة . في المقابل ، يُفسرون سلوكًا مشابهًا من قِبل الشباب المعاصر على أنه يدل على أن المراهقين عدوانيين ومخيفين وخارجين عن السيطرة في الأماكن العامة (على الرغم من أنه يبدو أن هناك أدلة ضئيلة ، باستثناء القصص ، على أي زيادة فعلية في عنف المراهقين)... . إن مفهوم "الذعر الأخلاقي" - الذي "اخترعه" عالم الاجتماع ستانلي كوهين لتفسير الاحتجاج الشعبي الناجم عن الصدامات بين "المودز" و"روكرز" في إنجلترا في منتصف الستينيات - هو مفهوم مفيد للتفكير في كيفية نظر مجتمع البالغين إلى ثقافات الشباب المختلفة وسلوك الشباب بشكل عام على أنها "إجرامية" أو "منحرفة... ."

تلعب وسائل الإعلام دورًا محوريًا في الذعر الأخلاقي من خلال تصوير جماعة أو حدث منحرف وآثاره بطريقة مبالغ فيها . فهي تبدأ بتحذيرات من كارثة اجتماعية وشيكة . عندما يقع حدثٌ مناسبٌ يرمز إلى وقوع هذه الكارثة ، ترسم وسائل الإعلام صورةً غالبًا ما تكون مثيرةً ومشوهةً لما حدث ، حيث تُعطى بعض التفاصيل معانٍ رمزية . بدورها ، تُوفر وسائل الإعلام منبرًا لردود الفعل وتفسير ما حدث . يصبح الجمهور حينها أكثر حساسيةً للقضية المطروحة ، مما يعني أن "الانحرافات" المماثلة ، التي ربما كانت لتمر دون أن تُلاحظ لولا ذلك ، تحظى أيضًا بتغطية إعلامية واسعة . يمكن أن تؤدي دوامة القلق هذه في النهاية إلى اتخاذ السلطات المختصة إجراءات عقابية ضد المجموعة أو الحدث "المنحرف". ...

يدور الذعر الأخلاقي حول غرس الخوف في نفوس الناس . الخوف إما لتشجيعهم على الابتعاد عن المشاكل الاجتماعية المعقدة ، أو – و هو الأكثر شيوعًا - لتدبير الموافقة على "فعل شيء ما" من قِبل النظام الاجتماعي المهيمن . يرتبط الذعر الأخلاقي بتضارب المصالح وخطابات السلطة ، وغالبًا ما يرتبط بـ"مواقع رمزية" محددة كالشارع . وكثيرًا ما يُحشد هذا الذعر تجاه مجموعات معينة من الشباب ، مثل المودز ومغنيي الروك ، عندما يبدو أنهم يسيطرون على الشوارع أو يهددون النظام الأخلاقي في الضواحي . ويتزايد ارتباط الذعر الأخلاقي بالخوف من فقدان السيطرة ومحاولة تأديب الشباب ، أكثر منه بالسيطرة الاجتماعية .

وغالبًا ما تنطوي هذه العملية على حنين إلى "عصر ذهبي" أسطوري ، حيث كان الاستقرار الاجتماعي والانضباط الأخلاقي القوي رادعًا للاضطراب والانحراف . وقد برز هذا النوع من الذعر الأخلاقي في كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين . وفي جميع أنحاء الولايات المتحدة ، يُعد الشباب حاليًا موضع شك وقلق شعبي . أحد المحفزات الرئيسية لهذا القلق المعاصر هو الانتشار الملحوظ لعصابات الشباب في الشوارع ، حيث أصبحت كلمة "عصابة" رمزًا لـ "العرق" ورمزًا أيضًا للمخدرات والأسلحة والكتابة على الجدران وموسيقى الراب والعنف . وقد لعبت وسائل الإعلام دورًا رئيسيًا في المبالغة في عدد العصابات وتشويه أنشطتها من خلال تفسيرات عنصرية لعنف الشباب... ويشير الذعر الأخلاقي من عصابات الشباب إلى عمليات استقطاب اجتماعي أعم . ونتيجة لذلك ، أصبحت القضية مسيسة بشكل متزايد ، مما أدى إلى إدراج تدابير لمقاضاة أعضاء العصابات ومعاملة الأحداث كبالغين. ...

بينما يُركز هذا الهلع الأخلاقي تجاه الشباب في الولايات المتحدة على العصابات ويُضفي عليه طابعًا عنصريًا صريحًا ، ساد في المملكة المتحدة قلقٌ عامٌ بشأن ما وصفه فيلم وثائقي تلفزيوني بريطاني بـ"نهاية الطفولة" . بدأ الأمر في منتصف التسعينيات بجريمة قتل جيمي بولجر، البالغ من العمر عامين ، على يد

صبيين يبلغان من العمر عشر سنوات . ورغم غرابة هذه الجريمة ، إلا أنها لم تكن سابقةً تمامًا ، وسرعان ما أصبحت مرجعًا لحالات عنف أخرى يرتكبها الأطفال . وقد حشدت وسائل الإعلام أدلةً أخرى ، من إحصاءات حول التنمر، والتسلية ، وجرائم المراهقين ، لتأجيج المخاوف الشعبية بشأن تمرد الشباب ...

وقد أُلقي باللوم في سلوكهم على عاتق الآباء ، والتعليم ، والدولة . يُتهم الثلاثة بجعل الأطفال غير قابلين للحكم من خلال تقويض العلاقة الهرمية بين البالغين والأطفال . ويُقال إن الآباء كانوا يتمتعون تقليديًا بسلطة "طبيعية" على أبنائهم نتيجة لتفوقهم في الحجم والقوة والعمر والقدرة على التحكم في الموارد المادية . ومع ذلك ، يُزعم أنه في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين ، تغير مفهوم الأبوة والأمومة ، حيث تخلى البالغون طواعيةً عن بعض سلطتهم "الطبيعية" لصالح علاقات أوثق وأكثر مساواة مع أبنائهم . لقد تحول ميزان الالتزامات بحيث لم تعد المسؤولية تقع على عاتق الطفل ليكون ابنًا أو ابنةً بارًا ، بل على عاتق الوالد لتوفير لأطفالهم على وجه الخصوص (وخاصةً المادية) .

في الواقع ، في الثقافة الفردية ، يُشدد على ضرورة تنشئة الأطفال اجتماعيًا على الاستقلال . وبالتالي ، تُشكل العلاقات بين الوالدين والطفل إشكاليةً ، لأن أفكار الوالدين حول وضع الحدود كقواعد أو مبادئ أخلاقية قد تتعارض مع مطالب الشباب بمزيد من الاستقلالية . وقد صاحب هذا التغيير الاجتماعي أيضًا تحولٌ عام في المواقف القانونية والشعبية تجاه الشباب ، بعيدًا عن نهج "الكبار ادرى" نحو التركيز على شخصية الطفل وحقوقه . ونتيجةً لذلك ، يُجادل بعض المعلقين بحدوث تراجع في مفهوم الطفولة كفئة منفصلة ، وأن التمييز بين الأطفال والبالغين أصبح أكثر ضبابية . كما أن النمو في الأسر ذات الوالد الوحيد يعني أيضًا تزايد عدد الأطفال الذين يعيشون في ظروف يتشاركون فيها المسؤوليات العاطفية والمالية مع أحد الوالدين . ونتيجةً لذلك ، خلصت دراساتٌ عديدة إلى أن الآباء يشعرون بأنهم لم يعودوا يملكون أي موارد أخلاقية أو نفسية لممارسة سلطتهم على الشباب .

تصف هذه الأم وضابط الشرطة مخاوفهما بشأن عدم قدرة الشباب المعاصر على التحكم : يا أمي، أعتقد أن هناك وضعًا مختلفًا تمامًا ، كما تعلمين ، فهم أقل خوفًا من السلطة مما كنا عليه ، لم نكن لنفعل أبدًا أشياءً معينة يفعلونها الآن ، أنا متأكدة من ذلك... لا أعتقد أن لديهم الكثير من الاحترام للسلطة أو لكبار السن الآن على الإطلاق... ولكن كما قلت ، عندما... يكونون جميعًا... يتسكعون ، أجد الأمر مخيفًا حقًا ، وأن أشعر بذلك تجاه الأطفال حقًا ، ليس من اللطيف التفكير في ذلك ، ليس لطيفًا. (منطقة "الطبقة المتوسطة" غير الحضرية، تشيشاير) . ضابط شرطة : لقد عملت في الشرطة لمدة اثني عشر عامًا ، ووجدت بالتأكيد فرقًا في موقفهم [المراهقين] تجاه الشرطة وتجاه الناس . أعني ، أعلم أن الأمر يبدو مبتذلًا بعض الشيء ، لكنني أتذكر عندما كنت شابًا ، لم أكن أتخيل أبدًا أن أصرخ على شخص ما يسير في الشارع . لكن الآن ، لا يكترثون ، وأنهم يفعلون كل أنواع الأشياء . (تشيشاير)

كما تشير هذه الاقتباسات ، فإن العديد من الآباء يعودون إلى "العصر الذهبي" لطفولتهم عندما كان الأطفال يحترمون الكبار... يجادل الآباء الآن بأن نشطاء حقوق الطفل ، مثل منظمة EPOCH (إنهاء العقاب البدني للأطفال) قد قوّضوا الأسس التي بُني عليها هذا الاحترام . أولًا، لأنهم شجعوا على تحوّل في المواقف القانونية والشعبية تجاه الأطفال ، بعيدًا عن نهج "الكبار أدرى" نحو التركيز على شخصية الطفل (على سبيل المثال ، إذا كان من الخطأ ضرب شخص ، فلا بد أن يكون من الخطأ أيضًا ضرب طفل). ثانيًا، ولعلّ الأهم في نظر الآباء والمعلمين والشرطة الذين تمت مقابلتهم ، هو أن الدولة تبنت بشكل متزايد نهجًا ليبراليًا تجاه العقاب البدني للأطفال (على سبيل المثال ، لا يُسمح لمربيات الأطفال بضرب الأطفال ، ولم تعد المدارس الحكومية قادرة على استخدام العقاب البدني لتأديب التلاميذ) ، وبالتالي ، أزالت الأداة الأساسية التي كانت

متاحة للبالغين (الآباء ، ومن يتصرفون بدور الوالدين ، مثل المعلمين والشرطة) لفرض سلطتهم وتفوقهم في كل من المجالين الخاص والعام ...

يا أبتي ، لم يعودوا يؤدبونهم . كما تعلم ، لم يعد يُسمح لهم [للمدارس والشرطة] بلمسهم ، حتى يتمكنوا من الإفلات من العقاب أكثر . لا يوجد عقاب بدني ، وأعتقد أن هذا خطأ . إنهم يتخذون قراراتهم بأنفسهم في الحياة ، هذا هو الأمر - الآباء لا يتخذون القرارات نيابةً عن الأطفال . لقد تربينا على احترام الكبار – بصراحة ، أعني أنني أبدو من الطراز القديم ، لكن هذه هي الطريقة التي تربينا بها في المدرسة . الآن يفعلون ما يحلو لهم ، ولا أحد يستطيع تغيير ما يفعلونه. («الطبقة المتوسطة»، منطقة العاصمة ، مانشستر الكبرى)

أمي : أعتقد أننا وصلنا إلى مرحلة لا يمكنك فيها السيطرة على الأطفال . أنتِ تعلمين أنه لا تجرؤين على صفعهم ، ولا على توبيخهم أمام الآخرين ، وإلا فلن ينطقوا إلا بكلمة واحدة في المدرسة ، وستجدين الخدمات الاجتماعية تطرق الباب... لذا أعتقد أن هذا هو سبب كون الأطفال على هذا النحو، لأن المدارس لا تستطيع منحهم العصا بعد الآن ؛ لا تجرؤ على ضربهم بعد الآن ، ليعلموا أنهم سيفلتون من العقاب ، فيفعلون ذلك ببساطة لأنهم يعلمون أنه لا يوجد ما يمكنك فعله لإيقافهم . («الطبقة العاملة»، منطقة العاصمة، مانشستر الكبرى) . أبي : أعلم أنه إذا وقعت في مشكلة ، أعني أنك تسمع ذلك في الصحف الآن ، شرطي يقطع أذن شاب وهو في المحكمة . أعلم عندما كنت شابًا ، لو أن شرطيًا قطع أذني وقلت لأمي إنها كانت ستعطيني واحدة أخرى . كما تعلم ، لقد تغير كل شيء الآن. («الطبقة العاملة»، منطقة ريفية ، ديربيشاير) .